خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٠/٠٨/١٣

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة: ١٨٧)

هذه الآية وردت في سياق الحكم الإلهي بالصيام والتفاصيل الخاصة به.. أي إن إحراز الإنسان عبودية الله تعالى ورؤيته لمشاهد استجابة الدعاء يتطلب مجاهدةً، وإن صيام رمضان هو الآخر عبارة عن مجاهدة، ويجب أن يصومه المؤمن مدركا مكانته، حيث يجب أن يؤمن الإنسان بأنه يقوم بهذا العمل ابتغاء

مرضاة الله، لا مجرد أنه يترك الطعام، ويجب أن يعرف المؤمن حق المعرفة لوازم ومقتضيات الصيام، فالصيام كما قلت مجاهدة. إذ إن الله تعالى لا يُهِمه أن يترك المرء طعامه بل لا يهمه مجرد العبادة الظاهرة. لقد جعل الله تعالى في إجابته للدعاء شرطا واردًا في هذه الآية وهو أنه لم يقلْ ﷻ إنه يجيب فورا كلَّ من يناديه مهما كانت أعماله ومهما كان وضعه الإيماني والأخلاقي؛ كلا بل قد قال ﷻ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي إذا كان عبادي يريدون أن أجيب دعاءهم فعليهم أن يستجيبوا لندائي أولا، والشرط الثاني هو ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ ومعلوم أن الخطاب – في هذه الآية – موجه للمسلمين ومع ذلك يقول الله تعالى ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أي يجب أن يقوّوا إيمانهم بي ويجب أن يزيدوا إيمانهم، لأن الإيمان ليس الاعتراف باللسان فقط دفعة واحدة، بل يجب أن تتقدموا في الإيمان ويجب أن تزدادوا إيمانا بالله تعالى وإيقانا به ﷻ بانتظام وعلى الدوام. وإذا أحرز المرء هذه الحالة فعندها يمكن أن يسمَّى راشدا ومؤمنا، وينال مكانة المؤمن الحقيقي. ثم قال الله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ومعناه التقدمُ على درب الحسنات الحقيقية والهدايةِ باستمرار، والبحثُ عن الكمال في الهداية. هنا ينشأ التساؤل أين نجد الأحكام التي يجب أن نمتثل لها لنـــزداد إيمانا بالله ﷻ؟ فللتدليل على تلك الأحكام والأمور قد أعطانا الله تعالى كتابَه القرآنَ الذي هو مجموعةُ جميعِ أنواع الهداية والرشد، حيث أعلن الله بذلك في مستهل القرآن الكريم حيث قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣)

فالذين يبحثون عن الهدى والذين يحبون أن يُقوّوا إيمانهم بالله ﷻ، والذين يحبون الوصول إلى قمة الحسنات، والذين يحبون أن تُستجاب دعواتهم فلا سبيل لهم لتحقيق أهدافهم إلا التمسك أو العمل بهذا الكتاب الكامل الذي نزل على النبي الكامل ﷺ.

فإذا كنتم تريدون أن تكونوا عبادا صادقين لله وتتمتعوا باستجابة الدعوات وتحسِّنوا دنياكم وعقباكم فلا سبيل إلى ذلك إلا أن تمتثلوا للأحكام الإلهية التي بيَّنها ﷻ ونطلع عليها حين نقرأ القرآن الكريم، ونجد نماذجه العملية في الأسوة الحسنة لرسول الله ﷺ. فالحق أن حياة النبي ﷺ هي في الحقيقة صورة عملية لتعليم القرآن الكريم، وقد وجَّه الله ﷻ أنظار المؤمنين إلى التأسي بها حيث قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢٢)

فإيمان المرء باليومِ الآخر والمثولِ أمام الله للحساب وعبادتُه له ﷻ وذكرُه لن يُقبل إلا إذا سعى جاهدا للتأسي بأسوة النبي ﷺ، وهذا التأسي بأسوة النبي ﷺ امتثال للحكم الإلهي الوارد في الآية التي تلوتها في بداية الخطبة حيث ورد ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ أي إذا كان هؤلاء السائلون عبادي أنا.. أي كانوا مؤمنين، فلا شك أنهم عنّي سيسألونك أنت حصرا أيها النبي؟ لأن الناس لا يسألون عن الطريق إلا الذي يعرفه جيدا والذي هو خبير في هذا الميدان، ومن الطبيعي أن الناس الذاهبين إلى الله أو الذين يريدون الذهاب إليه لن يسألوا عنه ﷻ إلا مَن وصفه الله بأنه حبيبه ورسوله الخاص، والذي أعلن عنه سلفا أن الفوز بحبه ﷻ مشروط باتباعه ﷺ. أما المؤمن والمسلم فلا يمكن

حتى أن يخطر بباله أن يسأل عن الطريق غيرَه ﷺ، أو يعتبر غيرَه أسوة له. وإذا كان أحدٌ بعد رسول الله ﷺ يمكن أن يكون أسوة للمؤمنين.. أي لنا نحن الذين نعيش في هذا الزمن.. فهُم صحابته الذين اتبعوه اتباعا كاملا، أو المحب الصادق في هذا الزمن لحبيب الله ﷺ، ذلك الذي علَّمَنا أساليب جديدة لاستيعاب أحكام القرآن الكريم والتفاني في حب النبي ﷺ. فإن الذين يقدمون أسوة حسنة بعد زمن النبي ﷺ هم الآخرون يقتبسون من أسوة النبي ﷺ الذي هو العبد الكامل لله تعالى. ولا يمكن أن يولد إلى يوم القيامة إنسانٌ يرتقى إلى كماله ﷺ ويحرز كمالا مثله ﷺ في العبودية. ويقول الله ﷻ لعبده الكامل هذا: إن عبادي الذين اجتمعوا حولك ليكسبوا قربي ولكي تستجاب أدعيتهم يسألونك أين أتواجد؟ فأَخبِرهم ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾. لكن للفوز بهذا القرب هناك حاجة لِعَين المعرفة، ويجب أن تكون في النظر حدةٌ حتى يتمكن من رؤيتي. وللحصول على عين المعرفة والحِدة في النظر انظروا إلى أسوة رسولي الحبيب لأنه هو الوحيد الذي يعمل بتعليمي كاملا. فإن الذين تأسوا بأسوة هذا الرسول ﷺ والذين أظهروا حبهم الصادق للنبي قد أصبحوا عبادا حقيقيين بكونهم ربانيين، إنهم رأوا مشاهد قرب الله، وهم قد لاحظوا تحقيق الوعد الإلهي الوارد في ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ في حقهم؛ إذ قد سمعوا إجابة دعواتهم ورأوا مشاهد تأييد الله تعالى ونَصرِه، فللسائلين اليوم أيضا نفسُ الجواب الذي كان قبل ١٤ قرنا. وإن إله محمدٍ رسولِ الله ﷺ اليوم أيضا حيٌّ كما كان حيا من الأزل ولن يزال حيا إلى الأبد. فإذا كانت هناك حاجةٌ فإلى فهْم هذه الأحكام، فيجب أن نستعرض هذه الأسوة فينةً بعد فينة ونفحص

أنفسنا لكي ترتفع معاييرُ حسناتنا ولكي نتمكن من الاطلاع على تقصيراتنا، وحتى يتقوى إيماننا بالله تعالى، ولكي نفهم فلسفة الأدعية. لقد علّمنا النبي ﷺ بعمله وأسوته الحسنة من ناحية، ومن ناحية أخرى وجّه النصائح أيضا إلى المؤمنين بشكل عام. إن شهر رمضان هو شهر التقرب إلى الله ﷻ، والقيامِ بالعبادات وتجنبِ الفسق والفجور، والتوجّهِ أكثر من ذي قبل إلى أداء حقوق العباد، وهو شهر استجابة الأدعية كما هو معلوم. كانت دائرة أعمال النبي ﷺ الحسنة تتوسع مئات المرات في هذا الشهر الفضيل. فمثلا كان في هذا الشهر سخيّا جدا في الصدقات والإنفاق في سبيل الله تعالى. لا شك أنه ما كان لأحد أن يضاهيه في ذلك حتى في الأيام العادية ولكن فيما يتعلق برمضان فقد ورد في الأحاديث أنه ﷺ كان ينفق فيه كالريح المرسَلة. والحال نفسه بالنسبة إلى العبادات والعمل بأوامر الله الأخرى.

لقد قلت آنفا – ويقال عادة – إنه ليس لأحد أن يبلغ مستوى أعماله ﷺ ومع ذلك أمر الله تعالى بالتأسي بأسوته ﷺ، ليس المراد من ذلك قطعا أنه إذا كان الوصول إلى ذلك المستوى مستحيلا فلا فائدة من القيام بالأعمال، أو ما معنى كونه ﷺ أسوة لنا؟ الحق أن الله تعالى قد أودع كل شخص قدرات ومؤهلات معينة. ولقد شرح المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع بالتفصيل وقال بأن كل شخص مأمور بالعمل حسبما أُعطِي من القدرات والمؤهلات؛ والله تعالى أعلم بقدرات كل شخص فلا يكلفه فوق طاقته. لقد قال تعالى: هذه الأسوة أمامكم ومن واجبكم الآن التأسي بها وسوف تُجزَوْن على ذلك بحسب كفاءاتكم. علمًا أن تحديد الكفاءات ليس بيد البشر بل الله أعلم بما في

الإنسان من كفاءات وقدرات، وإنما على المرء أن يبذل كل ما في وسعه ويسخّر نفسه في العمل بكل ما أعطيَ من قوة وكفاءة بكل شوق ورغبة متكبدًا العناء والمشقة لدرجة الإرهاق والإنهاك. هذا هو معنى الجهاد. يقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(العنكبوت ٧٠).. أي أن الذين يسعون للقائنا جاهدين سندلّهم حتمًا على الطرق المؤدية إلينا. لقد نبّهنا الله تعالى هنا باستخدام كلمة ﴿جَاهَدوا﴾ إلى أن الذي يريد أن يزداد إيمانًا على إيمانه فلا بد له من أجل التقرب إلى الله تعالى من سعيٍ متواصل يرهقه وينهكه. وعندما يقوم الإنسان بمثل هذه المجاهدة فإن الله تعالى يتقدم إليه ويعانقه. لا شك أن الله تعالى قد أمرنا ببذل كل ما في وسعنا لوصاله، ولكن انظروا إلى كرمه ولطفه حيث أمر رسوله ﷺ بأن يخبر المؤمنين بأنهم إذا تقدموا إلى الله ﷻ خطوة تقدمَ إليهم خطوتيْن، وإذا أتوه مشيًا أتاهم هرولةً. فالحق أن جهود الإنسان ليست إلا مجرد أمر شكلي، لأن ربنا الحبيب كريم بحيث إنه حين يرى أن عباده قد اتخذوا الخطوة الأولى للتقرب إليه ملبين نداءه ﴿فليستجيبوا لي﴾ فإنه لا يزال يقلل المسافات بينه وبينهم رحمةً منه فضلاً، ويتقدم ويعانق عبدَه الضعيف الذي يريد أن يكون عبدًا للرحمن. فقد قال الرسول ﷺ: لَلهُ أفرَحُ بعبده الذي يريد أن يتوب ويرجع إليه تعالى مِن أُمٍّ تجد ولدها الذي فقدتْه. فالواقع أن هذه ليست إلا مشاهد رحمانية الله تعالى وإلا فما قيمة هذه الجهود من العبد الضعيف؟ إنما هي رحمانية الله التي تقرّب إليه ﷻ.

أعود ثانيةً إلى الحديث الذي كنت فيه فأقول: لا شك أننا نجد في أسوة الرسول ﷺ -التي كانت صورة تامة للعمل بأحكام الله تعالى- مشاهد رائعة فيما يتعلق بشهر رمضان، غير أننا نجد في أيامه العادية أيضًا أمثلة للعبادة والأخلاق الفاضلة وأداء الحقوق يستحيل أن نجدها عند أي إنسان آخر. أضرب لكم بعض الأمثلة التي تبين لنا مستواه ﷺ في العبادة وغيره من الأمور.

هناك رواية تقول إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ فَجُحِشَتْ سَاقُهُ أَوْ كَتِفُهُ ... فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ فَصَلَّى بِهِمْ جَالِسًا وَهُمْ قِيَامٌ. (البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح) ولكنه لم ينقطع عن الصلاة بالجماعة. كذلك في غزوة أحد أصيب ﷺ بجروح حين انغرزت حلقات الحديد في خده المبارك، وكان يعاني من ألم شديد ولكنه مع ذلك حضر المسجد للصلاة حين سمع الأذان كما كان يحضره عادة.

لقد رسمت لنا السيدة عائشة صورة صلواته ﷺ النافلة فقالت: "فَلا تَسْأَلْ عَنْ طُولِهِنَّ وَحُسْنِهِنَّ." (مسند أحمد، مسند باقي مسند الأنصار)

فهذا هو العبد الكامل الذي قدّم لنا أسوة حسنة في العبادات، وزيّن أيضا عبادات أصحابه ﷺ أيضا. فيقول الله تعالى بأنكم إذا استجبتم لي فسأعلّمكم أساليب نيل قربي. والمرحلة الأولى والضرورية التي لا بد من المرور منها بهذا الصدد هي أن يكون الإنسان متميزا في العبادة. وعلينا ألا نقوم بالعبادة بإخلاص وشوق في رمضان فقط بل يجب أن نتأسى في ذلك بأسوة النبي ﷺ، حيث نرى في حياته الطاهرة أنه لم يكن يؤدي حق العبادة في الأيام والظروف

العادية فحسب، بل لم ينس الصلاة بالجماعة حتى في أيام الحروب حين كان جريحا.

يقول الله تعالى أن علامة المؤمنين هي أنهم: ﴿يقيمون الصلاة﴾ أي يحضرون المساجد في أوقات الصلاة بُغية أدائها جماعةً. فكيف يمكن للإنسان الكامل الذي أمره الله تعالى أن يعلن: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأنعام ١٦٣) أن يتحمل الإعراض عن أمره ﷻ قيد شعرة أو يغض الطرف عنه في أي حال. ولقد حضر ﷺ المسجد مستندا على كتفي رجُلين حتى في مرضه الأخير حين أعياه الضعف وما كان قادرا على المشي. فكل ذلك كان بسبب كونه فانيا في حب الله تعالى. الحق أن التقدم في الإيمان لا يتأتّى ولا يصل الإنسان معراج الأعمال إلا إذا بلغ الحبُّ ذروتَه. فيقول الله لنا بأن نموذج الحب البالغِ ذروتَه موجودٌ بين أيديكم. إنكم تسألون عن الله، فعليكم أن تروه ﷻ من خلال أسوة حبيب الله هذا. وحاولوا أن تؤدوا حق كونكم عبادا صادقين لي، عندها سترونني على مقربة منكم. ولكن إذا عمّرتم المساجد في شهر رمضان فقط ثم نسيتموني بعده، أو تسابقتم في حضور المسجد في هذه الأيام القاسية الواردة عليكم ثم نسيتموني بعد مرور فترة عصيبة أو بعد تحسّن ظروفكم فهذه ليست تلبية ندائي، بل ليس هذا إلا تحقيق أهدافكم فقط. إن تلبيتكم ندائي ستُعتَبر صادقة حين تداومون على العمل بأوامري وتستمرون في عباداتكم وأعمالكم الصالحة بعد مرور تلك الظروف والأيام الصعبة وتهدئة العواطف الآنية، وبعد نهاية الجوّ الروحاني المنتشر في

شهر رمضان بشكل عام. وإن لم تفعلوا فسيُعتبر توجهكم إلى العبادة نتيجة الظروف فقط.

الظروف الراهنة التي يمر بها الأحمديون في باكستان قد وجّهت أنظار عالَم الأحمدية كله في كل مكان إلى رفع مستوى عباداتهم ونيل قرب الله تعالى. وهناك الكثيرون الذين طمأنهم الله نتيجة أدعيتهم ومقام قربهم إلى الله، وكأنهم شاهدوا مشهد ﴿إني قريب﴾. إن الجلستين السنويتين للجماعة (*جلسة الجماعة في ألمانيا ثم في بريطانيا*) قد ساهمتا في استمرار هذه الحالة. أما الآن فقد أهلّ بنا رمضان الفضيل وهو شهر يوجهنا إلى التركيز على الأدعية ومشاهدة استجابتها والتقرب إلى الله ﷻ. ففي هذا الشهر الفضيل يجب أن نبلِّغ محاولتنا هذه ذروتها داعين الله ﷻ أن تدوم هذه الحالة فينا إلى الأبد، حتى لا نعود إلى حالتنا السابقة رويدا رويدا بمرور الوقت وبعد نهاية رمضان المبارك. إن أبناء الجماعة يشعرون في نفوسهم أن الحالة التي مدَّدَتْها الجلستان اللتان مروا بهما في الأيام الماضية سيصقلها رمضان أكثر فأكثر. ولهذا الغرض يكتب إليّ كثير من الإخوة طالبين الدعاء. ولكن عليهم أن يسعوا أيضا جاهدين ألا يكون هذا التغيير عارضا، بل ينبغي أن يأخذ صبغة مستديمة ونوفَّق لرفع مستويات عباداتنا أكثر فأكثر وباستمرار. فعلينا جميعا أن نبذل قصارى جهودنا ألا تنقطع سلسلة عباداتنا وأدعيتنا وتقربنا إلى الله تعالى التي حظينا بها نتيجة أعمالنا الصالحة، بل ينبغي أن يظل مستوى عباداتنا وتقوانا يرتفع باستمرار. ولنيل هذا الهدف قد وجّه المسيح الموعود عليه السلام إلى طريقة حيث يقول ما معناه:

اعلموا أن الدعاء الأساسي والأهم هو أن يدعو الإنسان للتخلص من الذنوب. إن هذا الدعاء هو أصل كل الأدعية، لأنه إذا استُجيب هذا الدعاء وعُدّ الإنسان مطهَّرًا في نظر الله بعد تطهير نفسه من جميع أنواع الشوائب والأدران فلن يعود بحاجة إلى الأدعية الأخرى المتعلقة بحاجاته الضرورية. الدعاء الذي يتطلب المشقة والمجاهدة الكبيرة هو أن يدعو الإنسان ليتطهَّر من الذنوب. القيام بهذا الدعاء أمر صعب للغاية ويتطلب جهدا كبيرا. ولكن الدعاء الحقيقي هو أن يدعو الإنسان ليتطهر من الذنوب.

إذًا، فهذا هو الدعاء الحقيقي. حين يسعى الإنسان لتطهير نفسه من كافة الذنوب عندها فقط يُعتبَر ساعيا للعمل بأوامر الله تعالى بما فيها قوله تعالى: ﴿فليستجيبوا لي﴾. إن القرآن الكريم، كما قلت من قبل، مليء بأوامر الله تعالى ولا نستطيع أن نعمل بها إلا إذا كنا من الذين يستجيبون لله ﷻ. من المعلوم أنه قد وردت في القرآن الكريم أوامر إلهية كثيرة جدا لا يمكن الإحاطة بها في مجلس واحد.

ففي شهر رمضان يتوجه المؤمن إلى تلاوة القرآن الكريم أكثر من بقية الأيام؛ وإضافة إلى ذلك حين يستمع الإخوة إلى دروس القرآن الكريم فعليهم أن يتدبرو أوامر الله أثناء ذلك.

على أية حال، سأذكر هنا بعض الأحداث من حياة النبي ﷺ. ولقد قدّمت لكم نموذجا بسيطا لعبادته تبيانًا لمستواها. سأقدم الآن بعض الأحداث الأخرى من سيرته الطيبة. يقول الله تعالى: ﴿وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾ (الإسراء: ٣٥)

قال حذيفة بن اليمان: ما منعنا أن نشهد بدرا إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله ﷺ، فأخذتنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدا؟ فقلنا: ما نريده، إنما نريد المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرون إلى المدينة، ولا تقاتلوا مع محمد ﷺ، فلما جاوزناهم أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم، فما ترى؟ فقال: نستعين الله عليهم، ونفي بعهدهم." (المستدرك للحاكم، والمعجم الأوسط للطبراني).. هذا هو المعيار الأعلى للعمل بأوامر الله تعالى الذي أظهره النبي ﷺ. من المعلوم أنه كانت هناك حاجة للاستعانة بكل شخص في غزوة بدر حيث كان جيش الكفار مسلّحًا بكل معنى الكلمة، وكان المسلمون عزّلا مقارنة مع عتاد الكفار وعدتهم الحربية، مع ذلك قال النبي ﷺ لهما: بما أنكما قد تعاهدتما مع الكفار فعليكما بالوفاء، ونستعين الله عليهم أي أريد أن تساعداني بالدعاء فقط. ولقد شهد العالم على عظمة هذا الأمر، وسجل التاريخ في صفحاته هذا الحدث الجليل كما اعترف العدو بعلوِّ خُلق وفاء العهد عند النبي ﷺ. كان هذا العبد الكامل يتكل كليًّا على الله الذي كان قريبًا إليه، فقد أراه آية قربه بحيث استجاب أدعيته فأنال الضعفاء والعزّل غلبة على الأقوياء والمسلحين وهزمهم. ما كانت تلك غلبة عادية، بل كانت واضحة جلية. لقد قال النبي ﷺ بكل يقين: نستعين الله عليهم، وقد حقق الله تعالى – الذي هو صادق الوعد – قول نبيّه المفيض باليقين، فاستجاب الأدعية وحقق له الغلبة وبالتالي قوّى إيمان الصحابة، وأدخل الرعب في قلوب الأعداء.

كانت إحدى الصحابيات قد أجارت بعض المشركين فقال لها النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ. وهكذا احترم النبي وعد صحابية مؤمنة. رغم أن بعض الصحابة ومنهم علي رضي الله عنه قد عارض هذه الفكرة إلا أن النبي ﷺ الذي جاء لإظهار الأخلاق العالية قال لها: بما أنك أعطيت لهم موثقًا فعليك بوفاء عهدك ونحن أيضا نحترم عهدك. نلاحظ في مجتمعنا اليوم أن الناس ينقضون عهودهم على أتفه الأسباب مما يؤدي إلى إفساد أمن المجتمع. لقد انتشر هذا المرض على نطاق واسع في الآخرين، أما في جماعتنا فيحدث مثل هذه الحالات أحيانا. وعلاوة على نقض العهد يلجأ الناس إلى قول الزور أحيانا ولا سيما في متابعة قضاياهم في المحاكم وأثناء معاملاتهم اليومية. فإنهم من ناحية ينقضون العهد ومن ناحية أخرى يقولون الكذب الذي يخرج الإنسان من عبوديته، لأن الله تعالى بذكره قول الزور بمحاذاة الشرك أوضح لنا أنهما سيّان، فقد قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج ٣١). يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد عَدّ القرآنُ الكريم قولَ الزور نجاسةً ورجسًا فقال: ﴿اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾. لقد ذكر الله هنا الزور مقابل الأوثان. والزور وثنٌ حقًا، وإلاّ لما تَرك أحدٌ الصّدق ومال إلى غيره. وكما أنّ الوثن لا حقيقة له، كذلك لا يُجلّي قولُ الزور إلا بريقا زائفا. إنّ الذين يكذبون يفقدون مصداقيتهم إلى حد يظن المرء أنّ هناك شيئًا من الكذب والزور في قولهم حتى لو صدقوا." (الملفوظات، ج ٣، ص ٣٥٠)

فإذا أدخل أحد الكذب في معاملاته اعتبره الله تعالى مماثلا لمن أشرك بالله. ومن يشرك بالله فلا يسعه أن يدّعي بعبوديته. فإن هذه الدرجة مخيفة حقًّا.

يظن البعض أن عدم التزامهم بالصدق في أمور صغيرة لا يعدّ كذبًا، ولا يدخل ذلك في الكذب عندهم. ولكنه كذب أيضا ولقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ. (صحيح مسلم، كتاب المقدمة). فلا بد من العمل بهذه الأمور الدقيقة لنيل قرب الله تعالى. وهذه هي الأمور التي يدعونا الله تعالى لنلبّي فيها دعوته، وإذا فعلنا ذلك فإنه سيؤدي إلى تقوية إيماننا ويجعلنا عبادًا لله تعالى.

لقد نبّه النبي ﷺ إلى تجنب قول الزور في سياق الحديث عن الصيام أيضا. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْجَهْلَ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. (سنن ابن ماجه، كتاب الصيام)

وفي رواية أخرى قال: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ، مَا لَمْ يَخْرِقْهُ... بِكَذْبَةٍ أَوْ بِغِيبَةٍ". (المعجم الكبير للطبراني). وبما أنه لا يصوم إلا مؤمن، ولكن كلما جاء الكذب بطَلَ الإيمان. إن الصوم لله تعالى، ولكن إذا داخله الكذب لم يعد لله تعالى، بل عند بدء الكذب نشأ الشرك، وبالتالي لم يعد ذلك الصوم صومًا. هذا فيما يتعلق بالصوم، أما في الظروف العادية فكما ذكرت أن الله تعالى عدّ الكذب مثل الشرك بالله.

يجب أن يحثنا هذا الأمر على التفكير فيه في شهر رمضان الحالي وأن نحاسب أنفسنا لتدارك عيوبنا ونقاط ضعفنا، حتى نكون عبادًا حقيقيين لله تعالى، ونخطو نحو تقوية إيماننا وبذلك نكون من الملبين لنداء الله تعالى، وهكذا سنسمع بآذاننا قول الله تعالى: إني قريب.

لقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم عن حقوق المجتمع بشكل مفصل، كما نجد تفاصيلها الدقيقة في أسوة النبي ﷺ وأحاديثه أيضا، منها على سبيل المثال حق صلة الرحم الذي يتجاهله بعض الناس أحيانا. لقد أمرنا الله تعالى بصلة الرحم وهناك آية قرآنية بخصوصه تُقرأ عند إعلان النكاح، إلا أنه ليس هناك اهتمام كافٍ لأداء هذا الحق. عند الارتباط بعلاقة الزواج ينطبق موضوع "ذوي الأرحام" على الأقرباء من كلا الطرفين.. من طرف الرجل والمرأة. فلو راعى الناس بحقوق ذوي الأرحام ما نشأت كثير من القضايا التي أخذت تنشأ في هذه الأيام، بل ازدادت في الآونة الأخيرة. إن التقصير في هذا الجانب يسبب في التفكك الأسري في كثير من الأحيان. كان النبي ﷺ يهتم بصلة الرحم كثيرا بل كان يحترم أقاربه من الرضاعة أيضا. فلا بد من التأسي بهذه الأسوة للقضاء على الفساد المنتشر اليوم الذي صار هو السبب الأكبر في تفكك الأسر والبيوت.

لقد لاحظت كثيرا أن ما يؤدي إلى توتر العلاقات بين الزوجين في كثير من الأحيان هو عدم احترام كل منهما أقارب الآخر. فيقول الله تعالى إذا كنتم تريدون أن تستفيدوا من عبوديتكم لي فلا بد أن تؤدوا حقوق عباداتكم أيضا، ولا بد أن تتحلوا بأخلاق عالية أيضا، وتؤدوا حقوق عبادي أيضا.

ولقد أرانا الله تعالى أسوة شاملة لكل هذه الأمور في ذات النبي ﷺ الذي بدوره أسدى إلينا النصيحة في كل شيء. فإذا بلغنا هذه الحالة أصبحنا من الذين يحظون بقرب الله تعالى. وإلا فسينطبق علينا قول المسيح الموعود عليه السلام حيث قال: يقول الله تعالى: إني قريب، أما أنتم فبعيدون عني. فإذا حاولتم التقرب إليّ من خلال تحسين أعمالكم فستجدونني أني قريب. فعلى الرغم من أن هذا العمل يتعلق بالطرفين إلا أنه يجب أن يبدأ من قِبل العبد. وفقنا الله تعالى لفهم هذا الأصل وللدعاء من أجل تجنب الذنوب، حتى تنـــزل علينا أفضال الله تعالى في هذا الشهر الفضيل، ونكون من عباد الله المقربين.

يجب أن تركزوا على دعاء آخر أيضا في أيام رمضان هذه. إن الجماعة تداوم عليه مسبقًا ولكنني أذكّركم ثانية أن تدعو بشكل خاص لباكستان وللأحمديين الباكستانيين أن يُظلّ الله تعالى علينا برداء رحمته دوما، ويُفشل مكائد الأعداء ويحفظ الجماعة، ويرينا تجلّيًا خاصًّا لقدرته الخارقة للعادة فيقضي على أشرار الناس. إن وضع باكستان خطير ولا يدرك القادة والمسؤولون الحكوميون هناك خطورة الموقف فلا يعرفون إلى أين تتجه باكستان وماذا سيكون مصيرها؟ نطلب منه عزّ وجلّ رحمته وأن يرينا ازدهار الإسلام والأحمدية أكثر من ذي قبل. آمين.